المحاضرة الرابعة: السرديات الشعبية الملاحم.

تُمثّل الملحمة جنسًا من الأجناس الأدبية العريقة، عرفتها الشعوب منذ القِدم، وقد كانت هذه الشعوب تمزج بين ما هو خيالي، وحقيقي، وتاريخي، وحكائي، يتغنّى بأمجاد الشعب، وبطولاته؛ فكانت بذلك بمثابة سجّل تاريخي لأمّة من الأمم، تستمدّ منه قيمها، وقوانينها، وقد عُرفت لفظة الملحمة عند اليونانيين بمعنى "الكلام، والحكاية، التي تروي أحداث بطولية، وحوادث عجيبة خارقة للعادة، يقوم بها أبطال وطنيين"، أمّا في العربية فهي تعني "مواقع حربية تلتحم فيها الجيوش أو يتناثر فيها اللحم، والملاحم جمع مفرده الملحمة، وهي الواقعة العظيمة من وقائع الحروب، التي يتلاحم فيها الجيشان، أمّا معناها عند الغرب فهي: "القصيدة التي اتّسمت بالحديث عن الأبطال، وتعتمد على الخيال الواسع، وتصوير بطولة المتحاربين، وتتميّز بالطول الشديد، وتحكي قصص الأحداث التاريخية، ويتجّلى فيها تدّخل الآلهة بالدرجة الأولى"، ويُقصد بكلمة ملحمة، " القصيدة القصصية الطويلة، التي تحكي أعمال البطولة لبطل رئيسي"، وعادةً ما يكون هذا البطل وطنيًا، كما أنّ هذه الملحمة يتفرّد بكتابتها، أو بالأحرى نظمها شاعر واحد على حدّ قول **أرسطو**.

أُسس الملحمة:

يُعتبر **أرسطو** من أقدم من اهتّم بفن الملحمة، حيث عمل جاهدًا على تحديد مفهومها، وأهّم خصائصها، وأسُسها تحديدًا فنيًا، يُميّزها عن باقي الفنون الأدبية على غرار الكثير من الباحثين، والدارسين في هذا المجال، وقد حدّدوها في مجموعة من النقاط أهمّها على الإطلاق:

- **الموضوع:** يدور الصراع في الملحمة بين حضارتين أو بين أمتين، فالصراع الملحمي من أجل الحياة، ولكلّ طرف من الطرفين له الحق في الدفاع عن وجوده، وكيانه، والحفاظ على استمراريته.
- بما أنّ عالم الملاحم يؤمن بالخرافات، والأساطير، لأنّ أساس هذه الملاحم، الأسطورة هذه الأخيرة هي من تعمل على توجيه العامل الشعري.
- **البطولة:** تحكي الملحمة البطولة، وتُمجّد الأبطال، فالبطل الملحمي هو مركز الثِقل، وعليه يتوقف نجاحها، لأنّ شخصه تجتمع فيه كلّ الصفات الخارقة، والتاريخية.
- **العنصر الديني:** تُبنى الملحمة على التفكير الديني، فهي وليدة عنه، والدين هو من يُحرّك الأحداث، ويُغيّر مجراها.
- **الخوارق:** تحتوى على أحداث خارقة تتجاوز المعقول، وما هو مُتوقّع في تحقيقها.
- **الموضوعية:** من أسس الملحمة الأساسية الموضوعية، لأنّ الشاعر يتناول أشياء خاجة عن ذاته، فهي حديث عن الغير يتوارى فيه الشاعر وراء أبطاله.
- **العنصر القصصي:** باعتبار الملحمة قصة شعب، ممّا يُحتّم كتابتها بأسلوب سردي قصصي يتّصف بالحركية، والتشخيص، والتشويق.

- **صورة الشعب**: فهي تقوم بتصوير عالم كامل حافل بالصور الشعبية.
- **الأسلوب الملحمي**: وعادة ما يتميّز بالقوّة، والبطولة، شاملاً مختلف النواحي الحربية، والاجتماعية، والدينية، والخُلقية، والأخلاقية، وقوّة هذا الأسلوب تتجلّى في فخامته.

بتوفر هذه الأسس مجتمعةً في النصّ الملحمي، فإنّه يستكمل موضوعه، ويحقّق جودته، وعالميته، ليرقى بذلك إلى المستوى المطلوب كغيره من الفنون الشعرية المعروفة.